

قصة اللغة العربية (7) - الخليل بن أحمد الفراهيدي يؤسس علم النحو في البصرة

محمد صالح

السلام عليكم. اهلا وسهلا بكم مرة اخرى في سلسلة حلقات قصة اللغة العربية. على قناة مدرسة الشعر العربي تكلمنا عن شخصية الخليل بن احمد وعن علمه وزهده في الحلقة الماضية - 00:00:03

وقلنا ان له تأثيرا كبيرا على علوم اللغة العربية المختلفة في حلقة اليوم اتكلم عن بصمته الواضحة في علم النحو تحديدا وهو علم اللغة الاكثر اهمية ودراسة لم يترك الخليل عملا مباشرا في النحو - 00:00:20

اي ليس له كتاب مسجل باسمه ولكن ارائه مسجلة بوضوح في كتاب سيبويه وكل من يقرأ كتاب سيبويه يرى ذلك يقينا في كثرة النقول التي ينقلها سيبويه عن الخليل وقد تكلم كثير من العلماء في الماضي عن تأثير الخليل على سيبويه - 00:00:40

مثلا قال ابو الطيب اللغوي عقد سيبويه كتابه بلفظه ولفظ الخليل ويقول السيرافي عامه الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل استاذه وكلما قال سيبويه سأله او قال من غير ان يذكر قائله فهو الخليل - 00:01:03

وقال ثعلب الاصول والمسائل في الكتاب اي كتاب سيبويه للخليل ويقول الدكتور شوقي ضيف ان كل من يقرأ الكتاب يحس في وضوح بما قال ثعلب من ان الاصول وامهات المسائل النحوية - 00:01:25

والصرفية من عمل الخليل وكأنه كان بالنسبة الى سيبويه كالكنز الذي لا ينفد وبالطبع تكلم كثيرون قبل الخليل في النحو والصرف ولا يمكن انكار جهودهم ولكنها هو الذي تكلم بصورة شاملة في كل المسائل بعمق - 00:01:41

وهو الذي اعطى العلم شكله الناضج وقد تناول المسائل بصورةها الاولى البسيطة ثم اخذت معه صورتها النهائية ولا ينكر احد فضل سيبويه في شرح مسائل النحو في كتابه ولكن عمله استند على عمل الخليل - 00:02:03

اولا لنذكر بسرعة ما هو النحو هو فرع من علوم اللغة العربية يبحث التغيرات التي تلحق باواخر الكلمات العربية اعرابا وبناء حسب العوامل التي تدخل عليها وما ينطوي بذلك من معاني الجمل العربية - 00:02:22

بحث الخليل وحل مسائل النحو مثل المبتدأ والخبر وكان واصواتها وان واخواتها والفاعل وانواع المفاعيل المختلفة وبقية المباحث التي نعرفها وهو الذي سمي علامات الاعراب كما نعرفه الان. هو الذي اطلق مصطلحات الاعراب الرفع والنصب والخض - 00:02:46

وسمى حركات البناء بالضم والفتح والكسر كما سمي الكسرة في المعرابات بالجر ايضا فيما بعد سيستعمل علماء البصرة لفظة الجر فيما سيستعمل علماء الكوفة لفظة الخض وهم يقصدون نفس الحالة الاعرابية - 00:03:12

وسمى السكون الذي يقع في اخر الافعال المضارعة باسم الجزم وعلى صعيد اخر فالخليل ابن احمد هو الذي ثبت نظرية العامل والمعمول في النحو العربي وقد كان يرى ان اي حكم اعرابي من رفع ونصب وجر لابد ان يكون نتاجا مؤثرا ما في الجملة جعله يكتسب - 00:03:31

وهذا الحكم وسماته العامل واجتهد الخليل منطقيا ليحدد بدقة العامل او السبب لكل حالة اعرابية هذا العامل هو المؤثر الذي يكون سببا في اعراب الكلمات التي تأتي بعده وعادة ما يكون كلمة ظاهرة ملفوظة مثل نواصي الافعال المضارعة التي تسبب نصب الفعل المضارع بعد ان كان - 00:03:57

مرفوعا عندما كان حرا ومنها كان واخواتها وان واخواتها ونحو ذلك وبعض العوامل تكون معنوية. اي ان سبب اعراب الكلمة على هذا

النحو هو سبب تقديري غير ظاهر. مثل سبب رفع - 00:04:25

المبتدأ وقد اكثرا العلماء في العصور اللاحقة من الجدال حول العوامل او المؤثرات التي تسبب احوال الاعراب بدرجة عقدت احيانا دراسة النحو وصرف المجهود الى امور نظرية ليس لها تطبيقات - 00:04:44

وسوف اخصص حلقة مستقلة فيما بعد للحديث عن نظرية العامل في النحو العربي وهكذا كان الخليل ابن احمد رحمة الله يتبع كلام العرب وي Finch his بدقه ويبحث عن العوامل ويشرحها ويعلل سبب - 00:05:03

عملها بهذه الطريقة او تلك وكان يساعد على ذلك معرفته الواسعة بكلام العرب ويحكم احيانا على العبارات بالجودة او الرداءة وينقل عنه سيبويه قوله ان هذه العبارة تكرهها العرب او ان هذه الصيغة جيدة في لسانهم - 00:05:21

ومن مظاهر بحثه الدقيق ملاحظته تأثير اضافة ما على ان الناصب قال اذا دخلت ما على ان واخواتها فانها تلغى عملها ما عدا ليت فتعمل وقد عرف هذا بعدها تتبع بدقة اقوال العرب. لأن العرب كما قلنا هم الاصل وهذه طريقة كلامهم - 00:05:42

ونقل عنه سيبويه كلامه عن ان الجازمة وكان يرى انها ام باب الجوازم. لأنها تكون شرطية دائما. بينما كلمات اخرى تأتي شرطية واستفهامية وعرض سيبويه امثلة للكلمات التي جزمت بالامر مثل ائتي اتك - 00:06:06

او بالنهي لا تفعل يكن خيرا لك او بالاستفهام نحو الا تأتي احدثك او بالمعنى نحو الا ماء اشربه؟ ثم نقل عن الخليل ان كل هذه الكلمات تتضمن في معناها معنى ان الشرطية - 00:06:28

فمثلا معنى ائتي اتك هو ان اتيتني اتك. ان يكن منك اتيان اتك وهذا كان الخليل يبحث عن المعاني والروابط والعلل التي تفسر الاحوال الاعرابية وهو صاحب فكرة تأويل نصب المضارع بان المضمرة او الظاهرة - 00:06:47

فمثلا وامرنا لنسلم لرب العالمين قدرها وامرنا لان نسلم. اي وامرنا بالاسلام وهذا يقودنا لنقطة تكلم فيها الخليل كثيرا وهي حذف العام في الجملة او تقديره مثلا في جملة الا رجلا جزاه الله خيرا قدرها الخليل بمعنى الا ارى رجلا هذه صفتة - 00:07:08

وحذف الفعل ولكن دل عليه المعنى وهكذا تكون كلمة رجلا مفعولا به منصوبا وفي الاية الكريمة التي تقول لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك - 00:07:35

مقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة لاحظوا كلمة والمقيمين الصلاة جاءت بالنصب. ولو كانت معطوفة على ما قبلها لكان حرقها الرفع يقول الخليل انها نصبت بفعل محنوف معناه الثناء والتعظيم بتقدير اذكر المقيمين للصلاحة تعظيمها لهم - 00:07:53

وضرب مثلا كقول العرب اذا صوب احدهم سهما فاصاب القرطاس فانهم يقولون القرطاس يقصدون اصبت القرطاس. وحذف الفعل اصبت هكذا كان الخليل يرى ان اللغة بنيت بناء منطقيا كصناعة محكمة - 00:08:17

فإذا فاته سبب ظاهرة ما فانه يبحث عنه او يفترض حته لاي سبب بلاجي وكلما اصطدم قول عربي مع قاعدة وضعها حاول تأويله لينسجم مع القاعدة التي وضعها وهكذا فقد شكل طريقة تفكير النحو البصري - 00:08:38

من ذلك انه قال ان الحالة لا تكون الا نكارة ولكن ورد عن بعض العرب قولهم ارسلها العراك اي معتركة ومررت بهم الجماء الغفير قال الخليل ان العرب قالوا هذه الكلمات وعلى نيتهم طرح الالاف واللام. كانهم قالوا مررت بهم جميعا - 00:09:00

كما انه فتح باب الاحتمالات في النحو اي ان تحمل الكلمة الواحدة اكثرا من وجہ اعرابی واحد فقد جوز ان تقول يا زيد الطويلة او يا زيد الطويل كما انه يمكن ان تقول يا هذا زيد ويما هذا زيدا - 00:09:23

والان نتحدث عن السمع والتعليق والقياس كان مصدر الخليل الاول في اقراره لقواعد اللغة هو السمع من القرآن الكريم الذي كان هو نفسه احد قراءه ومن اخبار العرب القدماء وشعرهم ونثرهم. ومن العرب الفصحاء الذين كان يذهب اليهم بنفسه للسماع منهم - 00:09:45

فكل حكم يطلقه يأتي مصحوبا بدليله من كلام العرب الموثق المتكرر على السنتهم ويرى ان الامام الكسائي انبه من كثرة ما يحفظ الخليل عن العرب فقال له مستعجلا من اين اخذت علمك هذا؟ فاجابه - 00:10:08

من بوادر حجازي ونجد وتهامة وكلما يذكر سيبويه رأيا للخليل في مسألة يذكر معه سيرا من عبارات العرب واشعارهم على نحو يؤك

اصالة لغة العرب وانها المصدر الاساسي لقواعد اللغة - 00:10:27

والخليل ايضا هو من وضع قاعدة عدم الاعتماد على الحديث النبوى كمصدر من مصادر اللغة لان كثيرا من رواته اجانب ولان الحديث ينقل بالمعنى والان انقل لكم جوابه على سؤال وجه اليه وهو مهم جدا. فارجو الانتباه له. لانه يظهر طريقة تفكيره - 00:10:45
العامة روي ان احدهم سأله عن العلل والتفسيرات التي يعطيها لقواعد اللغة قال له اعن العرب اخذت هذه العلل؟ ام اخترعتها من نفسك وقال ان العرب نطقوا على سجيتها وعلى طباعها - 00:11:09

وعرفت موقع كلامها وقام في عقولها عللها. وان لم ينقل عنها هذا واعتلت انا بما عندي انه علة لما عللته منه. فان اكن اصبت العلة فهذا الذي التماس وان تكون هناك علة اخرى فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل دارا محكمة البناء عجيبة النظام والاقسام -

00:11:27

وقد صحت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق او بالبراهين الواضحة والحجج اللاحقة فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال انما فعل هذا لعنة كذا وكذا وجائز ان يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الرجل الذي دخل الدار. وجائز ان يكون فعله لغيره - 00:11:53

تلك العلة الا ان ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل ان يكون لذلك فاذا سمح لغيري علة لما عللته من النحو هي اليق فليأت بها معنى هذا باختصار انه لا يدعى انه قدم التفسير الاكيد لظواهر النحو. بل هو يجتهد في فهم ما امامه - 00:12:19

تخيل اننا رأينا الاهرام ببنائها الكبير المحكم. وتساءلنا عن طريقة بنائها نعلم بالتأكيد انها بنيت بطريقة هندسية بدعة وكل شيء بسبب ونجهد في بيان ذلك. وربما نفهم كيف بنيت الاهرام او لا. وربما يأتي احد فيما بعد بتفسير افضل - 00:12:41

وهكذا فالخليل ابن احمد رحمه الله كان يرى ان كل شيء في اللغة يجب ان يخضع لقاعدة ما وكان يرى ان كل شيء له سبب مع ان

الحقيقة انه لا يلزم ان نعرف سبب كل شيء - 00:13:05

فهذا تأثر بالطريقة الكلامية المقطبة اليونانية اما المطلوب في اللغة ان نحسن وصف الظاهرة لكي نفهمها ونستطيع ان نستعملها لا ان نعمل لكل شيء فيها ومن قواعده العقلية التي كان يعلل لها بهذا المنطق انه كان يرى ان الاصل في الاسم ان يكون معربا وان الاصل في الفعل ان - 00:13:21

اكون مبنيا واي خروج عن هذه القواعد يجب ان يكون له سبب واجتهد في تعليل سبب مخالفة بعض الاسماء وبعض الافعال لقاعدة التي وضعها. مستعينا في هذا التعليل بطريقة الكلام - 00:13:46

حسب المنطق اليوناني ونرى كثيرا من العلماء خاصة علماء مدينة البصرة يكترون في المناقشات والتعليق لمثل هذه المسائل بعكس الكوفيين يعتمدون على الرواية اكثر من المنطق ويسوق الدكتور شوقي ضيف امثلة اخرى لاجتهادات الخليل في كتابه المدارس النحوية - 00:14:02

يمكنك الاطلاع على هذا الكتاب لمزيد من الفائدة وكان الخليل يبني القياس على الكثرة المضطربة من كلام العرب مع نصه دائما على ما يخالفه ومحاولاته في اكثر الاحيان ان يجد له تأويلا ليتماشى مع القاعدة - 00:14:27

وهذا ايضا ما شكل عقلية النحو في مدينة البصرة بعد ذلك وحدد سمات مدرستها لان البصريين يلتزمون بالكلام المشهور المضطرب عن العرب وهو ما يميزهم بشدة عن النحوين الكوفيين ومن ناحية اخرى فان الخليل ومن بعده سيبويه فتحا باب التمارين غير العملية. على امثلة لم يتكلم بها العرب - 00:14:46

ربما بدأت كتمارين لتبسيط القاعدة. ولكن الامر توسيع كثيرا بعد ذلك. وتكلم فيه الناس اظهارا لمهاراتهم اللغوية او في اطارات المنافسات التي كانت تجري بينهم وفتح باب من الجدال في مسائل نظرية تماما - 00:15:13

من ذلك ان سيبويه سأله الخليل عن رجل يسمى اولو او رجل يسمى ذوو طبعا لا توجد اسماؤك هذه على الاطلاق. ولكنهم افترضوها وحاولوا اعرابها كذلك سأله عن رجل يسمى ارمي او يرمي. كيف نعرب اسمه اذا ورد في جملة - 00:15:33

وتكثر المسائل على هذا النحو في كتاب سيبويه نقا عن الخليل كما قلت في الحلقة الماضية تبلغ نحو خمسين مسألة او اكثر. شملت

هذه التمارين وشملت كل شيء في اللغة - 00:15:55

وهكذا يتضح ان الخليل يعتبر بحق واضع علم النحو فهو من وضع المصطلحات التي نستعملها الان. وهو الذي قرر العوامل المقدرة والظاهرة. وتكلم في الشواهد والاقيصة واجرى التمارين التي ربما كان يقصد بها تثبيت القاعدة - 00:16:11

اعتقد ان هذا القدر يكفي لهذه الحلقة ويمكنك الاستزادة من كتاب الدكتور شوقي ضيف رأينا كيف ناقش الخليل بن احمد كل شيء تقريبا ووضع اسس العلم والان تدركون مدى تأثيره على علم النحو. لأن العلم صار من بعده بنفس هذه الطريقة - 00:16:37

في الحلقة القادمة نتناول تأثير الخليل بن احمد على علم الصرف. والذي ربما يكون اكثرا من تأثيره على علم النحو اتمنى ان تتناول هذه الحلقة اعجابكم لا تنسى ان تضع علامة اعجاب وان تشتراك معي على القناة لنكمل قصة اللغة العربية - 00:16:58

وشارك الحلقة مع معارفك. ولا تنسى ان تكتب التعليق الذي تراه مناسبا. شكرنا لكم. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - 00:17:17